المحاضرة رقم 06 :اللسانيات والتواصل اللغوي

للغة عبر تاريخ الفكر اللغوي تعريفات متعددة ومختلفة، تداخلت وتعارضت أحيانا، تبعا لتعدد وتداخل المدارس اللغوية والنفسية، ومن أقدم التعريفات اللغوية العربية وأشهرها في التراث العربي تعريف أبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) الذي يقول في شأنها: « أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[1]. فاللغة عنده مجموعة من أصوات، إلا أنها أصوات مختلفة ومتباينة، والذي يميز بعضها عن بعض هو اختلاف مخارجها، وتنوع صفاتها، وهذه الأصوات المختلفة هي المسماة بالحروف على اختلاف صورها في لغات البشر أجمعين، والغرض من اللغة عند ابن جني هو التعبير عن الأغراض البشرية في الحياة، وهو ما يعرف بالتواصل في الدرس اللساني الحديث.

ويعلق محمود فهمي حجازي على التعريف قائلا: هذا تعريف دقيق، يذكر كثيرا من الجوانب المميزة للغة. حيث أكد ابن جني أولا على الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضا أنها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم[2].

ويعرفها العالم الأنثروبولوجي "**ادوارد سابير**" E.sapir (ت1939م)، حيث يقول: "إن اللغة طريقة إنسانية ومتعلمة لإيصال الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة نظام معين من الرموز اختاره أفراد مجتمع ما، واتفقوا عليه"[3]. وهذا التعريف يضع بين أيدينا الحقائق التالية:

إن الوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال، كما أنها نشاط إنساني مكتسب، وليس غريزيا، وهي عبارة عن نظام من الرموز اتفق على وضعها أفراد مجتمع ما.

---

[1]– ابن جني، الخصائص، ج:01، ص:33

[2]– محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1973، ص: 09-10

[3] – حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص112

أما اللغة من وجهة اللغويين الغربيين المحدثين، وبخاصة عند عالم اللسانيات "**دي سوسير**" فهي في جوهرها نظام من الرموز الصوتية، أو مجموعة من الصور اللفظية، تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السماع[4]. وفي هذا التعريف تأكيد على أن اللغة هي عبارة عن أصوات، بالإضافة إلى أنها وسيلة للتواصل، كما أنه يفرق بين مصطلحات ثلاث، هي: اللغة، والكلام، واللسان.

أما "نعوم تشومسكي" فيرى أن اللغة هي عبارة عن مجموعة غير متناهية من الجمل، فلكل جملة طول محدود، ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر(الفونيمات)، وكل اللغات الطبيعية في شكليها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى، وذلك لأن كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو الحروف)، ومع هذا فإن عدد الجمل غير متناه [5]. فهي ليست مجموعة من العادات الكلامية، مما يجعلها مختلفة عن لغة الحيوان، فهي تتسم بخصائص مميزة، وخاصة ميزة الإبداعية (قدرة المتكلم على إنتاج وعلى فهم عدد غير متناه من الجمل لم يسبق له سماعها)[6]. وهو يستند في تحديده للغة على ثنائيته التي نادى بها وهي: الكفاءة(**competence**)، والأداء (**performance**).

أ _ تعريف التواصل:

إن الوظيفة المركزية في اللغة هي التواصل والتفاهم المتبادل بين أفراد المجتمع الواحد، وذلك ما نلاحظ في التعريفات السابقة للغة سواء عند علماء العربية القدامى كابن جني ، أو عند علماء اللسانيات أمثال أندريه مارتيني ، فهم يعتبرون أن أهمّ وظائف اللغة الأساسية هي تواصل الناس مع بعضهم بعضا، ودخولهم بواسطتها في علاقات تضمن لهم

---

[4]– حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي، الموصل، 1989، ص32

[5]– أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص209

[6]– ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط:02، 1986

التفاهم المتبادل بينهم.[7]

فكلمة "التواصل" باللفظ الأجنبي "La communication" مشتقة من المصطلح اللاتيني"communicare" وتعني: الدخول في علاقة مع...أي: هي فكرة اللقاء بين الأشخاص.

والتواصل هو خلق الجسور بين الشعوب، أو بين المجموعات البشرية، أو بين الأفراد، وبتبسيط العبارة، هو: التبادل اللفظي بين المتكلمين، أفرادا، أو جماعاتٍ، فالمتكلم الذي يصدر جملة أو كلاما موجها إلى سامعه لا بد أنه ينتظر منه الاستماع، ثم ردودا، أو جوابا ضمنيا، أو صريحا، وذلك بحسب نوع العبارة، أو التواصل هو عملية انتقال نبأ من نقطة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر، أو من شخص إلى شخص.

وأطلعتنا نظرية "شانون" المعلوماتية منذ 1949 بتعريفها للتواصل بأنه: "تحول الإعلام أو تنقله بين باث ومتلق، وذلك بفضل مرسلة تمر عبر قناة مثل الإعلام عن طريق (الهاتف)، حيث الباث أو المتكلم سيرسل إليه مستقبله أو مكالمة مرسلة بفعل ذبذبات كهربائية بواسطة قناة الخط الهاتفي". والملاحظ من هذا التعريف أن نظرية المعلومات لا تأخذ بعين الاعتبار المظهر الدلالي، ولا تهتم إلا بالإرسال والتحويل، أو النقل واستقبال المرسلة الواردة عليها كشكل.

ويعرف صالح بلعيد التواصل نقلا عن Chooley على أنه: "الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضا الإشارات وتعابير الوجه وهيئات الجسم، والحركات، ونبرة الصوت، والكلمات، والكتابات (المطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون)، وكل ما يشمله آخر ما تم من الاكتشافات في المكان والزمان".[8]

ب- دورة التواصل:

---

[7]- عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000ص80

[8]- صالح بلعيد ، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2003، ص: 42

فنلاحظ من التعريفات السابقة بان عملية التواصل ستلزم مجموعة من العناصر منها وجود طرفي العملية (المرسل والمرسل اليه)، بالإضافة إلى الرسالة. ولكن كيف تحدث دورة التواصل؟.لشرح ذلك سنحاول التطرق إلى دورة التواصل عند دي سوسير، وعند رومان جاكبسون.

عبر عنها دي سوسير في حديثه عن حلقة الكلام في كتابه " **COURS DE LINGUISTIQUE GENERAL** فهو يصف عملية التواصل بناءا على مخطط لهذه العملية بين (أ)و (ب) وهما يتبادلان الحديث فيما بينها.

حيث تكون البداية من دماغ (أ) إذ ترتبط الأفكار بما يمثلها من الصورة الصوتية وهذه عملية سيكولوجية ثم تتبعها عملية فسيولوجية وهي إرسال الدماغ إشارة مناسبة إلى الأعضاء المسؤولة عن انتاج الأصوات، فتنتقل الموجات الصوتية من فم (أ) إلى أذن (ب) وهذه عملية فيزيائية، وتستمر العملية بالنسبة لـ(ب) ولكن بصورة معكوسة فتبدأ فيزيائية ثم فسيولوجية بأن تنتقل الإشارة من أذن السامع إلى دماغه، ثم العملية السيكولوجية والتي يتم فيها ربط الصورة السمعية بالتصور بالفكرة (التصور الذهني)، وتكون عملية متبادلة إذا حدث أن تحدث (ب)[9] .

كما نجح "رومان جاكبسون" بالاعتماد على ما توصل إليه مهندسو الاتصال، وخبراء الإعلام في بداية النصف الثاني من القرن العشرين، وبالاعتماد على ما جاءت به اللسانيات الحديثة من أفكار ونظريات في أن يقدم نظرية في التواصل، تحددت من خلالها بصورة جلية وظائف اللغة، وتقوم نظرية التواصل عند جاكبسون على ستة أركان لا يمكن أن تتم بها عملية تواصلية إلا باجتماعها وتفاعلهما، ومن غير غياب ركن منها، وهذه الأركان الستة

---

[9]– فريديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، ص:29–30

يمكن تمثيلها بالمخطط الآتي:

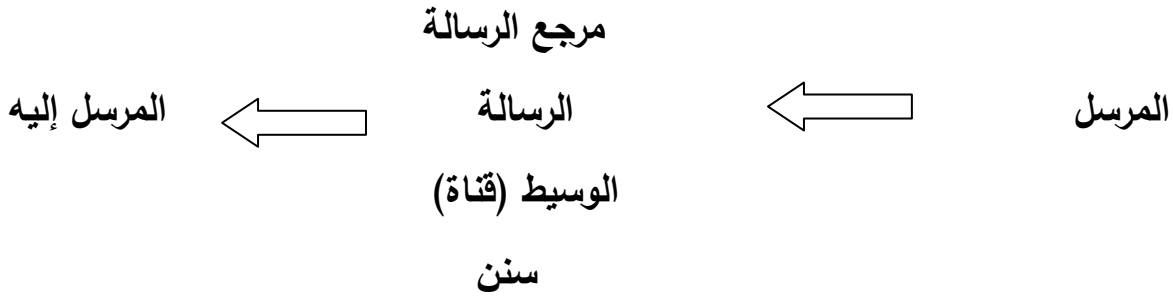

شكل (01): عناصر التواصل اللغوي

فالمرسل أو المتكلم هو مصدر الرسالة، ويمكن أن يكون فردا او جماعة، والمرسل إليه أو المستقبل أو المتلق، فهو الذي يستقبل الرسالة والذي يفكك رموزها، والتي ترتكز على المخزون اللغوي (السنن) والذي يكون مشتركا بين المرسل والمرسل إليه، بالإضافة إلى السياق الذي ترد فيه هذه الرسالة أو ما يسمى بالمرجع ويتم إرسال الرسالة عبر قناة الاتصال التي تعبر الوسيلة المعتمدة في إرسال الرسالة .[10]

المحاضرة رقم07: وظائف اللغة

تحدثنا عن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل ، إلا أن رومان جاكبسون قد حدد لكل عنصر من عناصر دورة التواصل اللغوي ، وظيفة لغوية معينة وهي كالاتي:

1- الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية: تظهر هذه الوظيفة في المرسلات التي تتمحور حول المرسل ، فهي تهدف إلى أن تعبر عن موقف المتكلم اتجاه ما يتحدث عنه، وهي تميل إلى اعطاء الشعور وتقديم انطباع عن انفعال معين حقيقيا كان أم كاذبا.[11]

2-الوظيفة الافهامية، أو التأثيرية، أو الندائية: وهي مرتبطة بالمرسل اليه، وذلك بغرض

---

[10]- ينظر: فاطمة طبال، النظرية الالسنية عند رومان جاكبسون، ص:65، وينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، ص: 39-41

[11]- رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية، ص:28

اثارة انتباهه او للطلب اليه القيام بعمل معين، ويبرز ذلك في الاسلوب الندائي، أو الامر، أو الاستفهام أو النهي.

3-الوظيفة المرجعية أو السياقية: وهي خاصة بالمرجع (السياق)، وتظهر في الرسائل ذات المحتوى الذي يتناول موضوعات وأحداثا معينة، وتشكل هذه الوظيفة التبرير الأساسي لعملية التواصل ذلك أننا نتكلم بهدف الاشارة إلى محتوى معين نرغب في ايصاله إلى الاخرين وتبادل الآراء معهم حوله.[12]

4- وظيفة اقامة الاتصال أو الانتباهية: وهي تهتم بالعلاقة بين المرسل والمرسل اليه من حيث القناة الرابطة بينهما، ومن ثم تراعي اقامة التواصل وسلامته، والتأكد من استمرار مرور الرسالة، كتكرار الألفاظ بغرض المحافظة على التواصل مثل: ألو، نعم، الهمهمة أثناء الحديث التي تفيد سماع الحديث. وسلامة قناة التواصل.[13]

5-وظيفة ما وراء اللغة أو الميتالسانية: اعتمد جاكبسون على ثنائية اللغة الهدف/وما وراء اللغة، فاللغة الهدف حسية وما وارء اللغة مجردة، فاذا قمنا بشرح كلمة ما بواسطة الترادف او التضاد ، فإننا نستعمل ما وراء اللغة، في حين أن الكلمة التي تم شرحها هي اللغة الهدف[14]، فهذه الوظيفة تظهر في المرسلات التي تكون اللغة نفسها مادة دراستها.[15]

6-الوظيفة الشعرية: تختص هذه الوظيفة بالرسالة في حد ذاتها، وقد سماها جاكبسون بالشعرية لان الشعر بموسيقاه وصوره يمثل أحسن تصوير للجانب الجمالي الموجود في اللغة.[16]

---

[12]- ميشال زكرياء. الالسنية (علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروتن ط:02، 1983، ص: 51

13- ينظر فاطمة الطبال بركة، النظرية الالسنية عند رومان جاكبسون، ص66، ,ينظر: رومان جاكبسون، قضايا شعرية، ص 30

[14]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الالسنية عند رومان جاكبسون، ص: 39.

[15]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الالسنية عند رومان جاكبسون، ص: 67

[16]-خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر ، الجزائر، ط:02، 2006، ص:31.